مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع JALHSS
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences – JALHSS
www.jalhss.com ISSN: 2414 – 3383
العدد (8) حزيران - يونيو 2016

مظاهر الغلو والتطرف عند بعض الفرق الإسلامية(1)

أ. م. د. قدور احمد الثامر
كلية التربية/ القائم – جامعة الأنبار
الأنبار - العراق

الخلاصة

حينما يفلس الإنسان ويعجز عن حل مشكلاته الحياتية ويقف عاجزا أمام هموم الحياة وتعقيداتها المختلفة، يلجأ إلى مسألة الغلو والتطرف والبحث عن الغوامض الدينية، ويُلبس أفعاله لبوساً دينياً وعقائدياً، ممَّا يؤدي إلى إثارة الفتنة والفرقة والشتات بين المسلمين، وقد قال ﷺ: (إن هذا الدين شديد فأوغلوا فيه برفق)، إن تجنب الغلو والتطرف مطلوب ولاسيما في هذا الزمان، الذي فقدت فيه القوامة والسيادة للأمة على أراضيها ومواطنيها بسبب العولمة الثقافية، فينبغي أن تعطى الأهمية للذي يحيي الأمة ويبصرها بماضيها، كي تنير حاضرها ومستقبلها، فما قيل قديما في قضية الغلو والتطرف لا يعدو أن يكون بطراً فكرياً، انقضى بانقضاء زمانه، والآن ذهبت السكرة وجاءت الفكرة وعمَّت الثقافة سواد الأمة، فلم تعد هناك مشكلة بين الناس إلا وهي قابلة للأخذ والرد، فيتفق الناس فيما اتفقوا فيه، ويعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه، إذا كان الأمر بعيدا عن الثوابت الدينية والعقائدية. ونحن ندعو الله للغلاة بالهداية والعودة إلى الوسطية وإلى ما أمرنا باتباعه ألا وهو كتاب الله وسنة نبيهﷺ القائل: ((إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبداً، كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض))، وفي حديث آخر، قال ﷺ: (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك). وهؤلاء قد بدلوا وغيروا وباتوا يشكلون خطراً على البلاد والعباد، بعد أن ابتعدوا عن الكتاب والسنة، ورضوا بأن يكونوا أدوات طيعة في أيدي جهات أجنبية وطائفية، تريد تنفيذ أهداف ذميمة وأغراض خبيثة في بلادنا الإسلامية المختلفة، وثبت عنه ﷺ قوله: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، أي: مرفوض ومردود. فوجب التصدي لهؤلاء القوم بالحجة والمنطق، وردهم إلى الجادة الحقَّة، بالعلم والفهم، وإقامة الحجة عليهم، وحمايتهم من الغلو والانحراف، والعودة بهم إلى الوسطية والاعتدال، الذي تميز به ديننا الحنيف وعقيدتنا السمحاء، قال ﷻ: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً..﴾**، والبحث في هذا الموضوع طويل وعميق ولا يمكن تغطيته في صفحات قليلة، فلابد من دراسات أخرى تعزز هذه الخطوة وتدعمها كي نصل إلى نتيجة مُرْضية بإذن الله ﷻ في مواجهة ظاهرة الغلو والتطرف التي غزت مجتمعاتنا الإسلامية وشغلتنا عن مهمتنا في الدعوة الى الله ﷻ .

(1) هذه الدراسة جرى التركيز فيها على الناحية التاريخية والفكرية بعيدا عن مظاهر الغلو والتطرف في العصر الحاضر لأنه موضوع آخر.

Appearances of Extremism on Some Islamic Sects

Assist. Prof. Dr. Kaddour Al-Thamer
College of Education/Al-Qaim - University of Anbar
Al-Anbar - Iraq

ABSTRACT

When a human is bankrupt and unable to resolve life problems and unable to stand in front of the worries of life and different complexities, he/she turns to the issue of extremism and the search for religious uncertainties by wrapping his actions with religious and ideological cover, leading to sedition and division among Muslims. The prophet ﷺ said: (This religion is so deep, therefore go through gently). Avoiding extremism is required, especially in this time, in which the stewardship of the nation and sovereignty over its territory and its citizens are lost due to cultural globalization. Importance should be given to the things which revive the nation and remind it with its past, in order to illuminate the present and future. What was said regarding the issue of extremism is nothing but an intellectual richness, passed upon the expiry of its time, and now the education dominates the blackness of the nation, and there is no problem among people that cannot be solved. Therefore, people should agree on general things, and excuse one another with disagreed issues, if they are away from religious and ideological constants. We pray to Allah for the misguided to return to moderation and to follow the Book of Allah and the Sunnah of the Prophet who says: ((I have left among you two things you will never go astray after them, the book of Allah and my Sunnah and they will not disperse until the Day of judgment)), and in another Hadith, the Prophet said: (I left you with clear religion you will never go astray but a vanished people). They have changed and they are now pose a threat to the country and people, having moved away from the Quran and Sunnah, and are content to be pliable tools in the hands of foreign and sectarian views, want to implement the ugly goals and malicious purposes in different Islamic countries. It is narrated that The prophet said: (he who innovates in our religion a thing that is new, it will be rejected), i.e. unacceptable. Those people should be addressed with argument and reasoning, and returning them to the genuine route by science and understanding, and establishing proof against them, and protect them from extremism and deviation, and return them to the moderation, which marked our religion and our tolerant faith, Allah said "and we made you a middle nation that you be witnesses over the people and the Messenger may be a witness on you". Research in this subject is long and deep and cannot be covered in few pages. It needs other studies to reinforce this move and support it in order to reach a satisfactory results, God willing to face the phenomenon of extremism, which invaded Islamic societies and preoccupied us from our mission in the call to Allah.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وقرة أعيننا محمد، صلاة ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

إذا كان الحديث عن: **مظاهر الغلو والتطرف**، مهماً فيما مضى، فإنه اليوم أكثر أهمية وضرورة، لأن الخوض فيه أصبح مكشوفاً ومتاحاً لكل الناس، ولم يعد وقفاً على النخبة من أصحاب الفكر وعلماء العقائد، ثم إن الغلو والتطرف نتيجة طبيعية لأوضاعنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية الداخلية والخارجية الراهنة، إذ اختلطت فيها السياسة بالدين، وقد وجدت من الأهمية الخوض في هذا الموضوع، والكشف عن بعض حقائقه التاريخية، في زمن استفحل فيه أمره، وعظم فيه خطره، وخرج عن نطاق السيطرة في بعض أنحاء عالمنا الإسلامي، فاكتوت بناره الأمة، و جرَّ عليها من الويلات والشرور ما لا يعلمه إلا الله ﷻ، والتي ستبقى آثارها المدمرة ماثلة في عيون الأجيال القادمة عقوداً من الزمن، وقد قيل: (الفتنة نائمة لعن الله من أيقضها)[2]، فمن الواجب التصدي لهذه الظاهرة وكشف حقيقتها وبيان خطرها على المجتمع الإسلامي برمته، للتحذير منها ومكافحتها، وقد ثبت عن حذيفة بن اليمان(ﷺ) أنه كان يقول: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺعن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني)[3]. فالهدف إذن هو معرفة جذور هذه المشكلة المتمثلة في الغلو للحذر منه ومحاربته، وتوقيه.. وتحذير الناس منه ومن آثاره المدمرة.

ولك أن تلحظ استفحال ظاهرة الغلو منذ مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(ﷺ) وما جرى لعثمان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً، وما تلا ذلك من أحداث متسلسلة عبر العصور الأولى كالعصر الأموي والعصر العباسي وما حدث فيهما من حركات انفصالية مختلفة، أطلق عليها علماء الكلام (مقاتل الطالبيين)، ظاهرها التديُّن وباطنها أغراض سياسية وشخصية مختلفة، ونشأ من هذا الخلط بين السياسة والدين الكثير من الفِرَق الضالة التي ظاهرها الإسلام وباطنها الانحراف والغلو في الدين،، ممَّا سنقف على بعضه في هذا البحث.

(2) المناوي، عبدالرؤوف، فيض القدير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ، ج4، ص 461.
(3) الداني، أبو عمر عثمان بن سعيد المقرئ، السنن الواردة في الفتن، بتحقيق: د:ضياء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الرياض،1416هـ، ط1،ج2،ص503.

المطلب الأول

بعض أسباب نشوء ظاهرة الغلو في المجتمعات الإسلامية

على الرغم من قدم ظاهرة الغلو إلا أن أسبابها تبقى هي هي منذ القدم، ومن المؤسف أن معظم الحكومات الإسلامية المتعاقبة بقيت عاجزة عن احتوائها أو استيعابها ويمكننا إجمال هذه الأسباب بالآتي:

أولاً- الإفراط في التعظيم والتقديس للمخلوقين وإغفال الخالق.

ثانياً- التعلق بالأسباب المادية المشاهدة لأنها الأقرب للإنسان من الغيبيات التي أوجب الإسلام الإيمان بها.

ثالثاً- رغبة بعض الفرق المحسوبة على الإسلام في التفلت من ربقة الدين وشرائعه مأخوذين بمغريات الحياة الدنيا وزينتها، فاستبدلوا الفرائض والعقائد الإسلامية الصحيحة من صلاة وصوم وحج وغيرها من ضروريات الدين بالحب والمواجيد والخرافات ممَّا لا يخفى على أحد.

رابعاً- الفهم الخاطئ للنصوص الشرعية من آيات وأحاديث وأحكام ولاسيما الجهل في التفريق بين المحكم والمتشابه والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ وغيرها من علوم الدين.

خامساً- أثر الأصابع الخارجية التي ما فتئت تعمل على النيل من الإسلام وعقائده لهدمه من داخله كلما سنحت لهم الفرصة، مستغلين سماحة الإسلام واحترامه لأفكار وعقائد الآخرين وصون حرياتهم.

سادساً- الأغراض السياسية واتباع الهوى لتحقيق مآرب سياسية ودنيوية من حكم وثروة وجاه وسلطان واستغلال جهلة الناس لتحقيق هذه المآرب، وقد تأثر الإسلام بهذا السبب منذ بزوغه. وثمَّة أسباب أخرى يعسر إحصاؤها أدت إلى نشوء هذه الظاهرة واستفحالها في المجتمع الإسلامي.

- ومن ضروريات البحث بيان معنى **الغلو** في اللغة قبل الدخول في الموضوع اصطلاحاً وعقيدة.

ثانياً: الغلو لغة

الغلو لغة: هو تجاوز الحد[4].

و الغلاء: نقيض الرخص، وغالى بالشيء: اشتراه بثمن غال، قال رجل من قيس:

نغالي اللحم للأضياف نيـــــــئاً ونُرخصُهُ إذا نضج القدرُ

والمعنى: نغالي باللحم نشتريه غالياً ثم نبذله رخيصا ونطعمه للجوعى إذا نضج في قدورنا، ويقال: غاليت في صداق المرأة: أي أغليته ومنه قول عمر ﷺ: (لا تغالوا في صدقات النساء)[5]، أي لا تبالغوا في كثرة الصداق.

وأصل الغلاء: الارتفاع ومجاوزة الحد في كل شيء، وغلا في الدين: جاوز الحد، قال تعالى:﴿ **يا أَهلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ**﴾[6]،وقال بعضهم: غلوت في الأمر غلوا وغلانية، إذا جاوزت فيه

(4) المناوي،حمد عبد الرؤوف، التعاريف، بتحقيق د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر،بيروت،1400هـ:ص540.
(5) ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري لسان العرب، دار صادر،بيروت،ط1، ج115ص131.
(6) النساء 171.

الحد، وأفرطت فيه، وفي الحديث: (إياكم والغلو في الدين)[7]، أي التشدد فيه، وعدم البحث عن بواطن الأشياء والكشف عن عللها وغوامضها. ومنه الحديث: (وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه)[8]. وإنما قال ذلك ﷺ: لأن من آدابه وأخلاقه التي أمر بها، القصد في الأمور، أي: التوسط، وخير الأمور أوسطها، لا إفراط ولا تفريط، وغلا بالسهم وغالى به غلاءً، رفع يده يريد به أقصى الغاية، وهو من التجاوز، والدابة تغلو في سيرها غلوا: أي ارتفعت فجاوزت حسن السير، ويقال للشيء إذا ارتفع قد غلا [9].

ومما في معنى الغلو: الطغيان قال ﷻ: **﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾** [10]، أي: تجاوز الحد وفاض. وقد أمر الله رسوله الكريم ﷺ ومن تبعه بالاستقامة والتزام الكتاب والسنة وعدم تجاوزها حين قال ﷻ: **﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**[11] ، ونخلص مما تقدم أن الغلو هو: الإفراط بالتعظيم بالقول أو الاعتقاد. والغلاة: هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم عن حدود الخليقة، وحكموا فيهم بأحكام الألوهية، فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله، أو حطُّوا من قدر الإله فشبهوه بالخلق، وهم على طرفي الغلو والتقصير، وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب أهل الكتاب من اليهود والنصارى، إذ اليهود والنصارى شبهت الخالق بالخلق، فَسَرَتْ هذه الشبهات في أذهان الغلاة، حتى حكموا بأحكام الألوهية في حق بعض الأئمة[12].وخير الأمور أوسطها والحسنة بين السيئتين، ثمَّ إن أسوأ السيئتين الغلو والتقصير، والحسنة بينهما هي الاقتصاد[13].

إذ الغلو في العمل سيئة، والتقصير عنه سيئة، والحسنة بينهما، وهو القصد. كما جاء في الحديث في فضل قارئ القرآن (غير الغالي فيه ولا الجافي عنه)، فالغلو فيه التقعر، والجفاء عنه التقصير، وكلاهما سيئة، وعن أبي العلاء قال: قال تميم الداري: (خذ من ذنبك لنفسك، ومن نفسك لدينك، حتى يستقيم بك الأمر على عبادة تطيقها..)[14] ،وعن ابن عمرﷺ، أن رسول الله ﷺ قال ((إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، (وفي رواية): إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته))[15].

ثالثاً- الإسلام دين الوسطية

جعل الله الإسلام دينا وسطاً بين الغلو والتقصير وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والاختيار، وبين الأمن واليأس[16].

(7) أبو بكر:أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، السنة، بتحقيق:د. عطية الزهراني،دار الراية، الرياض،1410هـ، ج1ص46. وابن عبد الوهاب،سليمان بن عبد الله بن محمد، شرح كتاب التوحيد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض0ج1،ص 275.

(8) البيهقي: شعب الإيمان، حديث رقم 2685، ج2 ص552. والماوردي: أبو الحسن علي بن محمد الشافعي،أعلام النبوة،بتحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتب العربي، بيروت لبنان، 1407هـ1987م، ط1ج1،ص 300.

(9) ابن منظور: لسان العرب، ج15،ص131 -134،والرازي:محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح ، بتحقيق: محمود خاطر،نشر مكتبة لبنان، لبنان،ت1415-1995،ص201.

(10) الحاقة 11

(11) هود 112

(12) الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل،بتحقيق:محمد سيد كيلاني،دار المعرفة ،بيروت، ج1،ص173 –174.

(13) الزمخشري:محمد بن عمر،الفائق،بتحقيق:علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،،دار المعرفة، لبنان،ط2، ج2،ص211.

(14) الزمخشري : محمود بن عمر،الفائق، دار المعرفة، لبنان، بتحقيق:علي محمد البيجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2،ص245.

(15) ابن حبان: أبو حاتم التميمي البستي محمد بن حبان بن احمد، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، ط2، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج6،ص451، رقم 2742.

(16) الحنفي :ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية ج1،ص585

وقولهﷺ في الحديث: ((سددوا وقاربوا)) [17]، أي: اقتصدوا في الأمور كلها واتركوا الغلو والتقصير فيها. وقد قالﷻ: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾** [18].

وفي الحديث عن علي كرم الله وجهه أنه قال: (خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي)[19]، والمعنى الذي أراده علي ﷺ أنه كره الغلو والتقصير في الدين[20]. وقد قال ﷻ: **﴿ يا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾** [21] [22]. فالمؤمن بين الرغبة والرهبة كما قال ﷻ في آل زكريا عليهم السلام " أنهم كانوا**﴿ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾** [23]، فتارة يمده الرجاء والرغبة، فيكاد أن يطير شوقا إلى الله وطورا يقبضه الخوف والرهبة فيكاد أن يذوب من خشية الله ﷻ، فهو دائب في طلب مرضاة ربه مقبل عليه خائف من عقوبته ملتجئ منه إليه عائذ به، قال ﷻ **﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾** [24]

أي: راغب فيما لديه[25]. وقد صدق رسول اللهﷺ إذ قال: (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، فشر السير الحقحقة! وإن المنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى)[26].

المطلب الثاني

أبرز مظاهر الغلو بين الناس

أولاً ـ غلو بعض الفرق الضالة في تاريخنا الإسلامي [27]

إن ممَّا دفعني إلى كتابة هذا البحث، ما نشهده من قسوة ووحشية في الأحداث التي تجري في مختلف بقاع عالمنا الإسلامي في العصر الحديث، على أيدي ما يسمى بالتكفيريين أو فرق الموت، يعضدهم في هذا الدور، الغزو الغربي الصهيوني الحاقد، في ظل تواطىء بعض الفرق الضالة والأقليات في المنطقة، الذين دمروا بلادنا الرافدين واستباحوا حرمتها، وهم في الأصل ليسوا أهل خبرة بطريق المناظرة ومعرفة الأدلة وما يدخل فيها من المنع والمعارضة كما أنهم جهلة بالمنقولات، وإنما عمدتهم على تواريخ منقطعة الإسناد؛ وكثير منها من وضع

(17) ابن حجر: أبو الفضل العسقلاني الشافعي احمد بن علي، (فتح الباري في شرح صحيح البخاري)، بتحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ج1ص94.والترمذي، سنن الترمذي،حديث رقم2141،ج4ص449.وابن منظور:لسان العرب ج1،ص669

(18) المائدة 3

(19) الزمخشري: محمود بن عمر، الفائق، بتحقيق: علي محمد البجاوي. ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط2، ج4ص27.

(20) ابن منظور: لسان العرب ج7،ص417

(21) النساء 171

(22) الحنفي :ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية ج1،ص586.

(23) الأنبياء 9

(24) الزمر 9

(25) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد الشافعي،أعلام النبوة، ج1،ص299 –ص300. والذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال ج1،ص296.وابن تيمية: منهاج السنة النبوية ج4،ص585 – 586. والحكمي: حافظ بن أحمد، معارج القبول، بتحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام،1410هـ1990م،ط1 ج2،ص438.

(26) الهيثمي: علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد، دار الريان، القاهرة وبيروت،1407م،ج1ص62. والماوردي: أعلام النبوة، ج1، ص300.

(27) ينظر: مسند الإمام أحمد، حديث 767.و الهيتمي:أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ج1ص151وج2ص484.

المعروفين بالكذب فيعتمدون على نقل أبي مخنف لوط بن يحيى، وهشام بن الكلبي،[28]، وقد سئل الإمام مالك عنهم فقال: أولئك قوم لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون، وقال الشافعي عنهم: لم أر أحدا أشهد بالزور منهم. ومن جهلهم أنهم يوجبون عصمة واحد من المسلمين ويجوزون على مجموع المسلمين إذا لم يكن فيهم معصوم الخطأ، وإن أول من اشاع الغلو في عالمنا الإسلامي (ابن سبأ اليهودي)[29]، أراد إفساد الدين وأراد أن يصنع مع المسلمين كما صنع بولص مع النصارى[30]، فلم يتأت له ما تأتى لبولص، لأن المسيحﷺ رفع ولم يتَّبعه خلق كثير، يُعلِمونَ دينه ويقومون به علماً وعملاً، فلما ابتدع بولص الغلو في المسيح اتبعه خلق كثير، ودخلت معهم ملوك، فأنكر عليهم طائفة من الموحدين فقتلهم الملوك، وبعضهم داهن الملوك ثمَّ اعتزلهم في الصوامع إفسادها بغلو غال أو ابتداع مبتدع[31].

ولهذا فإنك تجد أظهر ما يوجد من الغلو هو في طائفتين رئيسيتين من بين الناس هما: في ديانة أهل الكتاب، وفرقة **الإسماعيلية** الذين يقولون بإلهية الحاكم بأمر الله ونحوه من أئمتهم، ويقولون إن محمد بن إسماعيل قد نسَخَ شريعة محمد بن عبد الله ﷺ، وغير ذلك من أقوال الغلاة، ممَّن يفضل زيارة قبور شيوخهم على حج بيت الله الحرام، ومنهم من يجد عند قبر من يعظمه من الرقة والخشوع ما لا يجده حين أداء الصلاة في المساجد والبيوت والخلوات، ويروون أحاديث مكذوبة من جنس أكاذيب الزنادقة مثل قولهم: (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه الله به)، وقولهم: (إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور)، وقولهم: (قبر فلان هو الترياق المجرب). وفيهم من الشرك والغلو ما ليس في سائر طوائف الأمة، ويوجد الغلو في طائفة ثالثة، هم: غلاة الصوفية من أهل النسك والزهد والعبادة الذين غلوا في شيوخهم وأشركوا بهم [32].

وفي الوقت ذاته يُعرضون عمَّا أمروا به من طاعة أمرهم، والاقتداء بأفعالهم، ويعمدون إلى ما نُهوا عنه من الغلو والإشراك بالله ﷻ [33]. ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط وضاهاهم في ذلك فقد شابههم بالغلو [34].

وهو ما لم يكن في عصر النبيﷺ وما لم يفعله أو يقره، أو عُلِمَ من قواعد الشريعة الإذن فيه [35]. ومن أشهر الغلاة في تاريخنا: إسحاق بن محمد المعروف بالأحمر كان يزعم أن علياً هو الله وأنه يظهر في كل وقت، فهو الحسن في وقت، وهو الحسين في وقت آخر وهو الذي بعث محمداًﷺ[36].

ومن الغلاة طائفة يقال لها الجناحية[37] يقولون إن روح الإله دارت في أصلاب الأنبياء والأولياء إلى أن انتهى إلى إمامهم (عبد الله ذي الجناحين)، وأنه لم يمت وهو المهدي المنتظر. ويمكن تقسيم الغلاة إلى قسمين:

***القسم الأول:** هم من أوجبوا النبوة بعد النبيﷺ لغيره.

(28) القرضاوي: د.يوسف، ثقافة الداعية، ص95.
(29) عبد الله بن سبأ من يهود صنعاء، شخصيته ثابتة تاريخيا في جميع المصادر التاريخية، وكتب الفرق والعقائد، وإن أنكرها بعض المستشرقين ومن وافقهم: ابن تيمية:أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية، بتحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2 1409 هـ1989م ،ج1ص23.
(30) هو : بولص الشمشاطي بطريرك إنطاكية، كان يهوديا يسوم النصارى سوء العذاب، ثم تنصر فجأة على إثر رؤيا رآها. ينظر: ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. ج4ص 221.
(31) الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال ج1،ص410.
(32) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية،ج1،ص482 -486.
(33) المصدر نفسه:ج2،ص34.
(34) الذهبي:المنتقى من منهاج الاعتدال ج1،ص50 -51.
(35) أبو شامة: عبد الرحمن إسماعيل، الباعث على إنكار البدع والحوادث، بتحقيق: عثمان أحمد عنبر، دار الهدى،القاهرة، 1978م، ط1، ج1،ص20
(36) ابن حزم:علي بن أحمد بن سعيد الظاهري أبو محمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج4،ص140
(37) وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين. ابن حزم: الفصل في الملل، ج4،ص140.

***والقسم الثاني**: هم من أوجبوا الإلهية لغير الله ﷻ، فلحقوا بالنصارى واليهود في غلوهم.

فالطائفة التي أوجبت النبوة بعد النبي ﷺ فِرقٌ كثيرة من أشهرها: الغرابية والدَّماميَّة[38]. وطائفة منهم يقال لها (المفوضة) يقولون: إن الله ﷻ خلق محمداً ثم فوض خلق العالم إليه، وهذا ماذهبت إليه طوائف من النصارى من أن الله فوض خلق العالم إلى المسيح عليه السلام[39]. ومن أخبر الناس بهم كما يقول ابن تيمية: الشعبي وأمثاله من علماء الكوفة، وقد ثبت عن الشعبي أنه قال: ما رأيت أحمق من (الخُشبية)[40] لو كانوا من الطير لكانوا رخماً ولو كانوا من البهائم لكانوا حُمُراً[41]. فإن عبد الله بن سبأ لما أظهر الإسلام أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه، فأظهر التنسك ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثمَّ سعى في فتنة عثمان و شارك في قتله، ثم لما قدم علي ﷺ إلى الكوفة أظهر الغلو فيه والنصرة له، ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك علياً فطلب قتله فهرب منه إلى قرقيسياء[42]، وخبره معروف في التاريخ..وادعى هذا المنافق أن علياً يعلم الغيب، وفُوِّض إليه خلق العالم وما أشبه ذلك من الضلالات التي استُمِدت من النصرانية واليهودية التي كان عليها قبل أن يتظاهر بالإسلام[43]..

*** ثانياً- بعض مظاهر الغلو في الصحابة**

الصحابة قوم قد طهرهم الله ورضي عنهم ورضوا عنه، وهم قرن الرسولﷺ وجيله الذين توفي وهو عنهم راض، وقال فيهم: (خير القرون قرني)[44]،إذ كانوا أفضل القرون، وهم الذين حموا الإسلام بأرواحهم وأموالهم وأنفسهم، وحملوا لواءه ودافعوا عنه حتى اشتد عوده، ثمَّ بلغوه للتابعين بأمانة، وهم الهداة المهديون الذين قال الله فيهم: ﴿**..لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[45] وقال عنهم رسول الله ﷺ((اللهَ اللهَ في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً))[46]. هم أصحاب رسولﷺ وخيرة الله من خلقه بعد رسول الله ﷺ، ومما يجب لهم علينا الترضي عنهم واتخاذ ما أجمعوا عليه قولاً أو فعلاً أو تقريراً قدوةً وأسوةً لنا، وما اختلفوا فيه من الاجتهاد رحمة بنا وتقويما لمستقبلنا مهما كان هذا الاجتهاد، ولا ينبغي لغيرهم إلا الاتباع من دون الابتداع فما أحرانا بالتوقف عند حدود اللهﷻ والاقتداء برسول الله ﷺ والسلف الصالح في الموقف منهم[47]. وقد ثبت عن أحمد بن حنبل أنه كان يقول: الغلو في الصحابة كالغلو في رسول اللهﷺ فالنبي ﷺ قد نهى عن ذكر أصحابه بسوء، وأن ينتقص أحد منهم، وقد أنبأ الله النبيﷺ ما يكون بعده من شأن أصحابه ثمَّ أغمض عينيه وهو يوصي بهم ومات وهو راض عنهم، فما أحرانا أن نقتدي برسول الله ﷺ، وأن نكف عن ذكر

(38) المصدر نفسه:ج4،ص140.
(39) ابن الجوزي: تلبيس إبليس ج1،ص118-120.
(40) سمُوا بالخشبية: لقولهم إنا لانقاتل بالسيف إلا مع إما معصوم فقاتلوا بالخشب، ينظر: ابن تيمية:منهاج السنة النبوية، ج1ص36.
(41) المصدر نفسه:ج1،ص22-23.وابن عبد الوهاب:سليمان بن عبد الله بن محمد، شرح كتاب التوحيد، ج1،ص264-266.
(42) مدينة أثرية تقع على ملتقى نهري الفرات والخابور في محافظة دير الزور: سورية، تُعرف اليوم بمنطقة (البصيرة)، ينظر:الحموي الحسني: أبو عبدا لله محمد بن عبد الله بن إدريس، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1989م، ط1، ج2،ص657.
(43) الحنفي :ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية،المكتب الإسلامي، بيروت،1391هـ ط4 ج1، ص553 – 554، وابن تيمية: منهاج السنة النبوية ج8،ص479.
(44) الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى، سنن الترمذي، بتحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت، ج4ص500.
(45) المائدة 119
(46) ابن حنبل، الأمام احمد: مسند الأمام احمد، مؤسسة قرطبة، مصر، مسند أحمد بن حنبل ج5،ص54، رقم 20568.و الحنفي: ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، بيروت، 1391هـ ط4، ص555.
(47) أبو شامة: عبد الرحمن إسماعيل، الباعث على إنكار البدع والحوادث، ج1،ص20.

ما شجر بينهم بسوء، والترضي عنهم، وأن نقدم من قدمه رسول الله ﷺ، ونرضى بمن رضي به رسول الله ﷺ منهم[48]. ولاسيما السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، فما زالوا أعز الناس بعد نبيهمﷺ، فلا يحل أن يوصف الأعزاء من خاصة أصحاب محمدﷺ بأنهم منافقون، وأذلاء، وأنهم غدروا وخانوا، أو ارتدوا، كما زعمت بعض الفرق الضالة ومن على شاكلتهم[49].

فقد اعتقد جماعة من الفرق الضالة أن أبا بكر وعمر كانا كافرين، وقال بعضهم ارتدا بعد موت رسول اللهﷺ، وأوسطهم طريقة كان يقول بالتبريء من غير علي ﷺ، وقد حملوا زيد بن علي(ﷺ) على التبرىء ممن خالف علياً في إمامته، ومنهم من حمله على سبِّ أبي بكر وعمر فامتنع عن ذلك وقال: كيف أسب وزيري جدي، فرفضوه [50]، وسمي أتباعه بالزيدية، وكان علي كرم الله وجهه يجلد من فضَّلَهُ على أبي بكر وعمر حد المفتري، لِمَا عُرِفَ من احترامه ومحبته لهما، ولمعرفته بالحق وأهله، وأمره للناس بالمعروف ونهيه لهم عن المنكر[51]. ومنهم من زعم أن أبا بكر ﷺ ظلم فاطمة ﷺ في ميراثها وقد روي عن أبي العباس السفاح أنه خطب يوماً فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين أنصفني ممن ظلمني قال: ومن ظلمك قال: الذي ظلمني أبو بكر، حين أخذ [فَدَك]، قال: ودام على ظلمكم، قال: نعم، قال: ومن قام بعده قال: عمر، قال: ودام على ظلمكم، قال: نعم، قال: ومن قام بعده، قال:عثمان، قال: ودام على ظلمكم قال: نعم، قال: ومن قام بعده، فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكاناً يهرب إليه[52]...، وإن من طعن في الصحابة قصد إلى الطعن في أصل الدين والنبوة، وذلك أن الذي جاء به رسول الله ﷺأمرٌ غائب عنَّا، وإنما نثق في ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين، فكأننا نظرنا إذ نَظَرَ لنا من نثق بدينه، فإن الاعتقادات الصحيحة ولاسيما في الأنبياء، توجب حفظ سيرتهم وسننهم من بعدهم، ولا سيما في أهليهم وذريتهم، فإن طعن في الصحابة فقد خابت آمالنا في الشرع، لأنه ليس بيننا وبين النبي إلا النقل عنهم ﷺ، والثقة بهم[53]. فإن شُكِّكَ بهم وفقدنا الثقة بهم فقد انتفى الدين من أساسه[54]. ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غِلٌ لخيار المؤمنين وسادات أولياء الله بعد النبيين، أصحاب رسول الله رضي الله عنهم، ولهذا لم يجعل الله ﷻ في الفيء نصيباً لمن بعدهم، إلا الذين يقولون: **﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ولا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾** [55] [56].

*** ثالثاً- غلو بعض فرق التناسخية**

ومن نتائج الغلو ظهور طائفة التناسخية التي تنكر يوم القيامة والإيمان باليوم الآخر، وقالوا إنما هي أرواح تتناسخ في الصور، فمن كان محسناً جاز أن تنقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم، ومن كان مسيئاً جاز بأن تنقل روحه إلى أجساد يلحق الروح فيها الضرر والألم، وإن الدنيا لا تزال أبداً هكذا[57]. كما قال الدهريون إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع **﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ**

(48) أبو بكر:أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال: السنة، ج2،ص403و480-481.
(49) ينظر: الهيتمي:أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر، الصواعق المحرقة، بتحقيق: عبد الرحمن بن عبدالله التركي وكامل الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م، ج1ص151وج2ص484.
(50) الهيتمي:أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ج1ص151وج2ص484.
(51) ابن حزم: الفصل في الملل، ج4،ص140. وابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، النبوات، المطبعة السلفية، القاهرة، 1386هـ ج1ص142.
(52) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ج1ص119-120.
(53) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ج1،ص118–120.
(54) المصدر نفسه: ج1،ص118-120.
(55) الحشر 10
(56) الحكمي: معارج القبول، ج2،ص534. وأبو شامة: الباعث على إنكار البدع الحوادث، ج1،ص110.
(57) أبو الحسن:علي بن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين، بتحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث، بيروت، ط3، ج1،ص46.

وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾[58]، وهو ما عبر عنه ذلك المشرك حين فَرَك عظماً أمام المصطفىﷺ وقال: من يحي العظام وهي رميم، فأجابه الباري بقوله: **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾** [59]، وقد خاضت في مسألة التناسخ فرق كثيرة منها: الكيسانية[60]، والحارثية[61] ، ومنهما تفرقت فرقة الخرمدينية[62] ومن هؤلاء من كان يقول بـ (الدور) في هذه الدار وإبطال القيامة والبعث والحساب، وزعموا أن لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا الحياة الدنيا، وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخوله في بدن آخر غيره، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وأنهم مسرورون في هذه الأبدان، أو معذبون فيها، والأبدان هي الجنات وهي النار، وأنهم منقولون في الأجسام الحسنة الإنسية المنعمة في حياتهم، ومعذبون في الأجسام القذرة المشوهة من كلاب وقردة وخنازير وحيات وعقارب وخنافس وجعلان، متنقلون من بدن إلى بدن هكذا إلى أبد الآبدين، فهي جنتهم ونارهم لا قيامة ولا بعث ولا جنة ولا نار غير هذا على قدر أعمالهم وذنوبهم، وإنكارهم لأئمتهم ومعصيتهم لهم، وقد تسقط الأبدان وتخرب وتتلاشى وتفنى وترجع الروح إلى قالب آخر منعم أو معذب، وهذا معنى الرجعة عندهم، وإنما الأبدان قوالب ومساكن بمنزلة الثياب التي يلبسها الناس، فتبلى وتطرح ويُلبس غيرها، وبمنزلة البيوت يعمرها الناس فإذا تركوها وعمروا غيرها خربت، والثواب والعقاب على الأرواح دون الأجساد، وتأولوا في ذلك قول الله ﷻ **﴿فِي أيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ﴾** [63]، وقوله ﷻ **﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾** [64]، وقوله ﷻ: **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾** [65]، فجميع الطير والدواب والسباع كانوا أمماً وناساً خلت فيهم نذر من الله ﷻ واتخذ بهم عليهم الحجة، فمن كان منهم صالحاً جعل روحه بعد وفاته وخراب قالبه وهدم مسكنه إلى بدن صالح فأكرمه ونعمه، ومن كان منهم كافراً عاصياً نقل روحه إلى بدن خبيث مشوه يعذبه فيه بالدنيا، وجعل قالبه في أقبح صورة، ورزقه أنتن رزق وأقذره، وتأولوا في ذلك قول الله ﷻ: **﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَن ﴾** [66]، فكذب الله ﷻ هؤلاء ورد عليهم قولهم لمعصيتهم إياه فقال: **﴿كَلاَّ بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾** [67]، وهو النبي ﷺ: **﴿وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾** [68]، وهو الأمام **﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمّاً ﴾** [69]، ولا تخرجون حق الإمام مما رزقكم وأجراه لكم[70].

فتأول هؤلاء الضُلاّل محمداًﷺ نوراً وهو (الله) تمثل في عبد المطلب ثم صار في أبي طالب ثم صار في محمد ثم صار في علي بن أبي طالب، فهم سلسلة آلهة، فقيل لهم: كيف هذا وقد دعا محمد ﷺ أبا طالب إلى الإسلام والإيمان فامتنع أبو طالب من ذلك، قالوا: إن محمداً وأبا طالب كانا يسخران بالناس**﴿..قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا**

(58) الجاثية 24
(59) يس 78-79
(60) هم أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان يقال له كيسان وافترقت الكيسانية فرقا يجمعها شيئان: أحدهما: قولهم بإمامة محمد ابن الحنفية، والثاني: قولهم بجواز البداء على الله، ينظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين ج1ص18. والبغدادي: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد: الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977م ،ط2، ص27.
(61) وهم أتباع الحارث بن مزيد الأباضي كانوا يقولون بقول القدرية في القدر والاستطاعة، وسائر الأباضية كانوا يكفرونهم بسبب ذلك، ينظر: الإسفراييني، طاهر بن محمد أبو المظفر :التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية، نشر عالم الكتب، تحقيق كمال يوسف الحوت، لبنان، 1403هـ، ص59.
(62) هم قوم تناسخيون حلوليون، يقولون بأصلين للعالم النور والظلمة، وهم لا يقرون بحلال و لا حرام. ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ج1ص236.
(63) الانفطار 8
(64) الانعام 38
(65) فاطر 24
(66) الفجر 15
(67) الفجر 17
(68) الفجر 18
(69) الفجر 19
(70) النوبختي: الحسن بن موسى، فرق الشيعة، دار الأضواء، بيروت، 1404هـ، ج1،ص34 -38.

نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾[71]، وقالوا: أبو طالب هو الله عز وجل، تعالى الله ﷻعما يقولون علواً كبيراً،**﴿سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾** [72] [التوبة79]، فلما مضى أبو طالب خرجت الروح وسكنت في محمد ﷺ وكان هو الله ﷻ في الحق، وكان علي بن أبي طالب هو الرسول، فلما مضى محمد ﷺ خرجت منه الروح وصارت في علي، فلم تزل تتناسخ في واحد بعد واحد حتى صارت في معمر[73]. فأرباب هذه الفرق كلهم متفقون على نفي الربوبية عن الجليل الخالق تبارك وتعالى، وإثباتها في بدن مخلوق، على أن البدن مسكن لله، وأن الله ﷻ نور وروح، ينتقل في هذه الأبدان تعالى الله ﷻعن ذلك إلا أنهم مختلفون في رؤسائهم الذين يتولونهم، إذ يبرأ بعضهم من البعض الآخر، وقد يلعن بعضهم بعضاً[74].

*** رابعاً: بعض مظاهر الغلو العقلي**

كان هذا النوع من الغلو فيمن يظنون أنفسهم من أهل الحقيقة والعلم، فأضلهم الله على علم حين عمدوا إلى إنكار حقيقة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، فأخذوا يقولون إنه ليس له كلام إلا ما خلقه في غيره، ومنهم صنف زعموا أن العباد لا يرون الله ولا ينظرون إليه في الجنة ولا غيرها وزعموا أنه ليس بينهم وبين الله خُلل ينظرون إليه منها، وإنه لا حجاب لله وإن موسى ﷺ كفر والعياذ بالله حين سأل ربه الرؤية، قال: **﴿.. قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي..﴾** [75]، ولأنه سأل ما لم يكن، وإن عيسى ﷺ كفر حين قال: **﴿..تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾** [76]، لأنهم زعموا أنه حين زعم أن لله نفساً فقد كفر، فبلغ بهم الغلو إلى تكفير الأنبياء عليهم السلام تعالى الله ﷻعما يقولون علواً كبيراً[77]. وكان الغلو في التجسيم مشهوراً عن هشام بن الحكم[78] وأمثاله، ولما ظهرت المعتزلة والمتكلمون من السلف رجع البعض عن الغلو والتقصير ووقعت في الاعتزال[79].

ومن الزيادة في الدين أن يدخل فيه ما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ وعهد أصحابه رضي الله عنهم مثل القول بأنه لا موجود إلا الله كما هو قول الاتحادية(وهم بعض المتصوفة) وأنه لا فاعل ولا قادر إلا الله كما هو قول (الجبرية)، ومن ذلك القول بأن لله ﷻ صفة لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ولا هي من أسمائه الحسنى ولا من مفهوماتها أو لوازمها، وأنَّ معرفة هذه الصفة واجبة واختراع اسم لها واجب، وهي الصفة الأخص عند بعض المعتزلة، ويسمونها صفة **المخالفة**، وإنها لمؤثرة في سائر صفات الكمال الذاتية الأربع، وهي: كونه حيا قديما عالما قادرا و بها تخالف ذات الله سائر الذوات[80].

والطائفة الأخرى هي التي غلت في إثبات القدرة غلواً بلغ إلى حد أنه لا تأثير لغيرها ولا اعتبار لما سواها، وأفضى ذلك إلى الجبر المحض والقصر الخالص، فلم يبق لبعث الرسل وإنزال الكتب كثير فائدة، ولا يعود ذلك على عباده بعائدة، وجاؤوا بتأويلات للآيات البينات ومحاولات لحجج الله الواضحات فكانوا كالطائفة الأولى في

(71) هود 38
(72) التوبة 79
(73) هو: معمر بن عباد السلمى، تنسب إليه فرقة المعمرية الذين يزعمون: أن الدنيا لا تفنى وان الجنة هي: ما يصيب الناس من الخير والنعمة والعافية، وان النار ما يصيب الناس من خلاف ذلك، وقالوا بالتناسخ وأنهم لا يموتون ولكن يرفعون بأبدانهم إلى الملكوت، وتوضع للناس أجساد شبه أجسادهم، واستحلوا سائر المحرمات.الشهرستاني: الملل والنحل، ج1ص65. والاسفراييني: التبصير في الدين، ج1ص127.
(74) النوبختي: فرق الشيعة ج1،ص45 -46.
(75) الأعراف 143
(76) المائدة 116
(77) الملطي: ابو الحسن محمد بن احمد بن عبدالرحمن الشافعي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، المكتبة الأزهرية، مصر، 1418هـ، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ج1،ص98.
(78) هو أحد متكلمي المعتزلة، مجسم ومشبه وإليه تنسب فرقة الهشامية من المعتزلة. ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ج1ص184.
(79) ابن تيمية: العقيدة الأصفهانية، بتحقيق:إبراهيم سعيداي،مكتبة الرشد، الرياض، 1415هـ،ج1،ص92.وللمؤلف: منهاج السنة النبوية ج537،4- 538وص585 – 586. والشهرستاني: الملل والنحل، ج1،ص93.
(80) ابن الوزير:محمد بن نصر المرتضى اليماني، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات، دار الكتب العلمية بيروت، 1987م، ط2، ج1،ص100 -101.

الضلال والإضلال، مع أن كلاً المقصدين صحيح لولا ما شانه من الغلو القبيح. والأمن واليأس ينقلان عن الملة وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة فإنه بين الغلو والتقصير والتشبيه والتعطيل وبين الجبر والاختيار، والأولى اتباع السنة والآثار دون الافتكار والابتكار فإن قليل ذلك مع الفطنة كثير، والممعن في التعمق مذموم، والحريص على التوغل في اللهو محروم، والإسراف في الجدال يوجب عداوة الرجال، وينشر الفتن ويولد المحن، ويقلل الهيبة ويكثر الخيبة، فإن الله ﷻ لا تفهمه الأفهام ولا تتوهمه الأوهام، فينبغي طلب الحق والصدق والتوقف معهما، وترك التغير عنهما وعدم الدخول فيما لا يلزم لا إفراط ولا تفريط[81]..وحيث قلنا إن حقيقة القول أن الله ﷻ هو الخالق لفعل العبد فإذا قالت القدرية هذا ينافي كون العبد مختارا لأنه لا معنى للمختار إلا معنى كونه قادراً على الفعل والترك وأنه إن شاء فعل هذا وإن شاء ترك[82]. والأولى اتخاذ الكف طريقاً فإنه القصد والهدى وإن الجدل والتعمق هو جور السبيل وصراط الخطأ ولا تحسبن التعمق في الدين رسوخاً فإن الراسخين في العلم هم الذين وقفوا حيث تناهى علمهم وقالوا: **﴿آمنَّا به كل من عند ربنا وما يذَّكر إلا أولو الألباب﴾** (83) [84]. وكان السلف يرون أن من انحرف من العلماء عن الصراط المستقيم ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى، كما يرى في أفعال بعض أهل العلم في تحريفهم الكلم عن مواضعه ومن قسوة قلوبهم والبخل بالعلم والكبر وأمر الناس بالبر ونسيان أنفسهم، وكما يرى في منحرفة أهل العبادة والأحوال من الغلو في الأنبياء والصالحين والابتداع في العبادات من الرهبانية والصور والأصوات[85]. وأمثال ذلك من الغلو في الدين، وإنما وردت الشرائع بتوحيد الله في الربوبية وذلك بأن (لا إله إلا الله)، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وتوابع ذلك المنصوصة والمجمع عليها بين جمهور الأمة، كتوحيده بالعبادة، وهذا شأن المسلم في صفات الله ﷻ لا ناف ولا مشبه، وفي أفعال العباد لا جبري ولاقدري، وفي أصحاب رسول اللهﷺ وأهل بيته ليس بذي النصب ولا التشيع، وفي الوعد والوعيد ليس بخارجي ولا مرجئ فدين الله لا غلو فيه ولا جفاء ولا إفراط ولا تفريط[86].وقد تقدم قولهﷺ (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق فشر السير الحقحقة وإنَّ المنبتَّ لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى[87].

(81) المواهبي: عبدالباقي الحنبلي، العين والأثر في عقائد أهل الأثر، دارالمأمون للتراث، لبنان، 1407هـ، ط1، تحقيق: عصام رواس قلعجي، ج1،ص52.
(82) الكرمي:مرعي بن يوسف الحنبلي، رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، دار حراء، مكة المكرمة، 1410هـ، ط1، تحقيق: اسعد محمد المغربي، ج1،ص44.
(83) ال عمران 7
(84) الحنبلي:أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، بتحقيق: عثمان بن عبد الله آدم الأثيوبي، دار الراية، السعودية،1418هـ ط2.ج2،ص242.
(85) ابن تيمية :أحمد عبد الحليم أبو العباس، توحيد الألوهية، بتحقيق: عبد الرحمن بن محمد قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ط2،ج1،ص65.
(86) الحكمي: معارج القبول ج2،ص438
(87) الهيثمي:علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد، ج1ص62. والماوردي:أعلام النبوة، ج1،ص299 -300.

* المطلب الثالث

غلو بعض الصوفية ومن وافقهم

*أولاً- غلو بعض الصوفية

وهم كل من عدل عن العبادات التي شرعها الله ﷻ إلى عبادات أخرى ابتدعها المبتدع بإرادته، وذوقه، ووجده، ومحبته، وهواه، وصار إلى أنواع من الضلال لا توجد لا في كتاب الله ولا سنة نبيهﷺ، هذا ما ابتدعته بعض فرق الصوفية إذ وجد من بينهم من يدعي إسقاط واجب الأنبياء في الدعوة، والوصول إلى الله بغير طريقتهم، ويدعي بأنه قد جاء بما هو أفضل من النبوة، وقد بلغت الوقاحة بأحدهم أن ادعى الاتحاد والحلول الخاص إما لنفسه، وإما لشيخه، وإما لطائفته، الواصلين إلى حقيقة التوحيد بزعمهم؛ كما تزعم النصيرية والإسماعيلية لأئمتهم من بني عبيد[88]، وكما يفعل كثير من غلاة الاثني عشرية. وطوائف من غلاة المتصوفة ممَّن يدعي الإلهية ومعرفة الحقيقة، كالسهروردي [89] المقتول في الزندقة، وأبي منصور الحلاج [90]، وابن سبعين[91]وغيرهم. الذين سرت إليهم عدوى الغلو، ويلحق بهم كثير من غلاة الحكام، ممن كان يعتقد أن الإمام لا حساب عليه ولا عذاب، وأن الله لا يؤاخذه فيما يحكم، وما على العامة إلا الطاعة والتسليم في كل شيء قربة إلى اللهﷻ ، وقد أراد يزيد بن عبد الملك أن يسير سيرة عمر بن عبد العزيز فجاء إليه جماعة من شيوخ السوء فحلفوا له بالله الذي لا إله إلا هو أنه إذا ولّى الله على الناس إماماً تَقَبَّلَ الله منه حسناته وتجاوز له عن سيئاته[92]. مع أن الرسولﷺ قال: (كل من ولي من أمر المسلمين شيئاً إلا وجاء مغلول اليدين يوم القيامة إما أن يفكه عدله أو يغله جوره)[93].

وإن جُهال النساك من أكثر الناس غلواً بالبشر وذلك بسبب الجهل، والانقياد لما لا يعلم صحته، والتعلق بأئمتهم ممَّن اعتقدوا أن الله فرض الإيمان بهم، وأوجب على العامَّة تلقى الدين منهم، ثم اعتقدوا عصمتهم عن الخطأ، وغير ذلك ممَّا لا يقول به إلا مُفرطٌ في الجهل، أو مُفرطٌ في اتباع الهوى، أو في كليهما معا[94]. وهذا حال غلاة الصوفية، وحال الذين يستغيثون بالموتى أو الغائبين، والذين يطلبون حوائجهم من المقبورين، ويجعلونهم وسائط ووسائل وشفعاء في قضاء تلك الحوائج، بلا علم يدل على ذلك، ولا شرع أذن بذلك[95]. وأضافوا إلى ضلالهم هذا بعض البدع والضلال من العبادات والأدعية المبتدعة التي لم يفعلها أحد من سلف الأمة، وهي ليست مما شرع الله لعباده، بل فيها من الإشراك بالله واتخاذ الأنداد والشركاء من دونه، والغلو في الدين وإيذاء أنبيائه

---

(88) هم قوم حكموا مصر وادعوا أنهم من نسل علي، و الحق أن جدهم يهودي ديصاني من المجوس وادعوا أنهم من ذرية محمد بن إسماعيل بن جعفر وأن الحق معهم،ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ج8،ص11.

(89) هو شهاب الدين يحيى بن حبش، الحكيم الصوفي صاحب كتاب (حكمة لإشراق) قتله المظفر صاحب حلب ابن السلطان صلاح الدين فحبسه ثم خنقه في خامس رجب سنة 582هـ بقلعة حلب وعمره ثمان وثلاثون سنة وكان الناس مختلفون في حقه. ينظر: القنوجي: صديق بن حسن، أبجد العلوم، ج3، ص107.

(90) هو: الحسين بن منصور الحلاج، أحد غلاة الصوفية، وكان رجلا محتالا مشعبذا يتعاطى مذاهب الصوفية وكان مقداما متهورا جسورا وقد صلب 309هـ ببغداد. ينظر: ابن النديم: محمد بن اسحق أبو الفرج، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1398هـ1978م، ص269..

(91) هو: عبد الحق بن إبراهيم الشيخ الضال أبو محمد المريسي الصوفي الفيلسوف وله كلام في الحقيقة على طريقة الاتحاد مات بمكة سنة 669. ينظر: بن عيسى: أحمد بن إبراهيم، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم، بتحقيق: زهير شاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، 1406هـ، ط3، ج1، ص143.

(92) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية: منهاج السنة النبوية ج5،ص333 -334، وج6،ص430.

(93) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار، باب مسند عبادة بن الصامت، حديث رقم 21696.

(94) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية ج2،ص453.

(95) ابن تيمية: تلخيص كتاب الاستغاثة ج1،ص225-228.

وأوليائه، وتضييع حقوقهم ومخالفة طريقتهم وعصيان أمرهم ومفارقة هديهم والابتداع في دينهم ما ليس من دين المسلمين، أضف إلى ذلك ما يستلزم ذلك من فعل الفواحش والمنكرات، والعدوان على الخلق، وأكل أموالهم بالباطل، وعمى القلوب بالضلال والغي، إذ إن البدع في الدين من أسباب الفواحش وغيرها من المنكرات، كما أن إخلاص الدين سبب التقوى وفعل الخير[96]. وقد قيل الخير يجلب الخير والشر يجلب الشر. فمن غلا في أحد من الناس فإنه يُذكر له من هو أعلى منه ويبين له أنَّه لا يجوز هذا الغلو فيه، فكيف يجوز الغلو فيمن هو أدنى منه [97]. وأهل الجهل والغلو لا يميزون بين ما أُمروا به وما نُهوا عنه، ولا بين ما صح عن السلف وما كذب عليهم، ولا يتحرون طاعتهم ومتابعتهم، بل هم جُهال بما أُوتوا به، معظمون لأغراضهم، إما لينالوا منهم منفعة، وإما ليدفعوا بهم عن أنفسهم مضرة[98]. ثمَّ إنهم أُسارى لمشايخهم وليس للكتاب والسنة المطهرة.

ومن المؤكد أن الغلو ليس له طائفة، أو مذهب، أو دين، فينبغي أن يُعلم بأنه ظاهرة إنسانية، فإنك قد تجد بين من ينتسب إلى بعض أهل الإسلام من غلا في بعض المشايخ كالشيخ عدي بن مسافر[99] أو الغلو في علي بن أبي طالب، أو الغلو في المسيح، وعزير، عليهما السلام، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح واعتقد فيه نوعاً من الإلهية، كأنْ يدعوه من دون الله، أو يلجأ إليه ويطلب منه المدد أشرك بالله العظيم، فإن الله ﷻ إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يُدعى معه إله آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس، والقمر، والصالحين، والتماثيل المصورة على صورهم، لم يكونوا يعتقدون أنها تنزل المطر، وتنبت النبات، وإنما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون: **﴿..هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتنبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [100]فبعث الله الرسل وأنزل الكتب لكي تنهى عن أن يدعى أحد من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة[101].

ويكون الغلو أكثر جلاء في الأنبياء والصالحين، والإشراك في العبادة لرب العالمين، والقول بالحلول والاتحاد الذي يجعل العبد المخلوق هو رب العباد، والخروج في أعمال الدين عن شرائع الأنبياء والمرسلين، والعمل بمجرد هوى القلب وذوقه، ووجده في الدين من غير اتباع العلم الذي أنزله الله في كتابه المبين، واتخاذ أكابر العلماء والعباد أرباباً يُتبعون فيما يبتدعونه من الدين المخالف للأنبياء عليهم السلام[102].

ولك أن تلحظ هذا بين أصحاب الفرق الضالة الذين غلوا في الأنبياء وأهل البيت والمشايخ وغيرهم، ممن يدعي الألوهية في علي أو سلمان الفارسي، وكدعوى طائفة الإسماعيلية الإلهية في الحاكم بأمر الله وغيره من بني عبد الله بن ميمون القداح[103]، وعامَّة هؤلاء إذا خوطبوا ببيان فساد قولهم، قالوا: هذا أمر فوق العقل والنقل، ويقول بعضهم: ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح النقل، ويقولون لمن أراد أن يسلك سبيلهم دع العقل والنقل، أو اخرج من العقل والنقل، والحَقْ بنا، وقيل فيهم:

---

(96) المصدر نفسه: ج1،ص274.
(97) المصدر نفسه: ج2،ص466.
(98) المصدر نفسه: ج2،ص586.
(99) كان رجلا صالحا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، غلا فيه قومه ثمَّ دخلوا في حبه(يطلق عليهم اليزيديون)، وهم طائفة معروفة في نينوى بالعراق. ابن تيمية: كتب ورسائل ابن تيمية في العقيدة، بتحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم النجدي، ج1ص67و ج3ص363و377.
(100) يونس 18
(101) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في العقيدة، نشر جامعة الأمام محمد، الرياض، تحقيق: عبدالعزيز زيد الرومي، د محمد بلتاجي، دز سيد حجاب، ج1،ص 67-68وص177..
(102) ابن تيمية:أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، بتحقيق:علي سيد صبح المدني، مطبعة المدني، مصر، ج1،ص91.
(103) رجل أهوازي كان من الزنادقة أدرك جعفر الصادق وقام في خدمته، ينظر: الرازي: محمد بن عمر بن الحسين، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، بتحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب لعلمية، بيروت، 1402هـ، ص76.

مجانين إلا أن سر جنونهم عزيز على أقدامه يسجد العقل

هم معشر حلوا النظام وخرقوا السياج فلا فرض لديهم ولا نقل

وهؤلاء مُقلدون لمشايخهم مُتبعون لهم فيما يخرجون به عن شريعة الرسولﷺ، وما ابتدعوه مما لم يأذن به الله، باتخاذ البدع عبادات، واستحلال المحرمات، وإذا اعتُرض على أحد منهم يقول لك: ينبغي أن تسلم نفسك للشيخ كما يسلم الميت للمغسل، ومنهم من يقول: **﴿نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾** [104]كما قال اليهود والنصارى في المسيح وعزير عليهما السلام. وغاية ما عندهم أنهم يحكون عن شيوخهم نوعا من خوارق العادات، قد يكون كذبا وقد يكون صدقاً، وإن كان صدقاً لا يوجد ما يوجب على أحد تقليد الولي في كل ما يقوله، إذ الولي لا يجب أن يكون معصوماً، ولا يجب اتباعه في كل ما يقوله، وإنما هذا من خصائص الأنبياء والمرسلين، الذين يجب تصديقهم في كل ما يخبرون به من الغيب، وطاعتهم فيما أوجبوه على الأمم واجبة، ومن كفر بشيء مما جاؤوا به فهو كافر بالإجماع، وليس هذا لغير الأنبياء من خلق اللهﷻ [105].

أخرج أحمد عن علي قال: (سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فذكرت ذلك للنبيﷺ[106] فأنـزل الله: **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾** [107]، وفيها تحريم الاستغفار للمشركين، وتحريم موالاتهم، ومحبتهم، لأنه إذا حرم الاستغفار لهم فموالاتهم ومحبتهم محرمة من باب أولى. وإن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الغلو في الصالحين؛ فليحذر الغلو مطلقاً ولا سيما في الصالحين، فإنه أصل الشرك قديماً وحديثاً، لأن الشيطان يُظهرهم في قالب المحبة والتعظيم، لأن من أسباب عبادة الأصنام، الغلو في المخلوق ورفعه فوق منـزلته، حتى جعلوا فيه حظاً من الشراكة بالله ﷻ، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الضالة الذي أبطله الله ﷻ ببعثة رسله، وأنـزل كتبه بإنكاره والرد على أهله، فهوﷻ ينفي وينهى عن أن يجعل غيره مثلا له وندا وشبهاً له، لا أن يُشَبَّه هو بغيره، إذ ليس في الأمم أمة جعلته ﷻ مثلا لشيء من مخلوقاته، فجعلت المخلوق أصلاً وشبهت به الخالق، فهذا لا يعرف في طائفة من طوائف بني آدم، وإنما أن يجعل غيره نداً له وشبهاً له هو المعروف في طوائف أهل الشرك، غلوا فيمن يعظمونه ويحبونه حتى شبهوه بالخالق، وأعطوه خصائص الإلهية بل صرحوا بأنه إله، وأنكروا جعل الآلهة إلهاً واحداً، **﴿وَانطَلَقَ الْمَلأ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾** [108]وصرحوا بأنه إله معبود، يُرجى ويُخاف ويُعظم ويُسجد له ويُحلف باسمه، وتُقرب إليه القرابين إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تـنبغي إلا لله ﷻ [109].

وحذر النبيﷺ الأمة من المبالغة في مدحه أو إطرائه، أي: الغلو فيه، وقد تقدم قولهﷺ: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله))[110]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) [111]. وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك ولمَّا سجد له معاذ نهاه وقالﷺ ((إنه لا يصلح السجود إلا لله ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها)).[112]

---

(104) المائدة 18
(105) ابن تيمية: الجواب الصحيح ج3،ص185 – 188.
(106) ابن حجر: أبو الفضل العسقلاني الشافعي احمد بن علي، (فتح الباري في شرح صحيح البخاري)، بتحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، باب قوله تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)، ج8،ص508.
(107) التوبة 113
(108) ص 6
(109) الحكمي:معارج القبول، ج2،ص474
(110) سبق تخريجه(ص21من هذا البحث)
(111) الحكمي:معارج القبول، ج2،ص532وج3ص1162. وابن عبد الوهاب: شرح كتاب التوحيد، ج1ص275.
(112) ابن تيمية، زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، الإدارة العامَّة للطباعة والترجمة، الرياض، 1410هـ، ط1، ج1،ص33 -34.

ولا تخلو أشعار بعض المادحين لسيد المرسلين ﷺ من شيء من الغلو إذ جاوزوا الحد في مدحهﷺ وعصوه في نهيه عن الغلو فيه، وصار حظهم منه ﷺ هو مدحه بالأشعار والقصائد والغلو الزائد فيه[113]، كما قال صاحب البردة:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمِمِ

فانظر كيف نفى كل ملاذ ما عدا عبد الله ورسوله، وغفل عن ذكر ربه ورب رسوله، و قد أغرى الشيطان جماعة من أهل الإسلام حتى ترقوا إلى خطاب غير الأنبياء بمثل هذا الخطاب[114].

وجرى منهم الغلو في الشعر والنثر ممَّا يطول سرده حتى جوزوا الاستغاثة بالرسولﷺ وبعض الصالحين في كل ما يستغاث فيه بالله، ونسبوا إلى الرسولﷺ علم الغيب، حتى قال بعض الغلاة: لم يفارق الرسولﷺ الدنيا حتى علم ما كان وما يكون، وخالفوا صريح القرآن: **﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾**

(115). وإنما وقع الناس في الشرك بسبب الغلو في الصالحين، وما أرسل الله الأنبياء والمرسلين إلا لدعوة العباد إلى توحيد الله وإفراده بالعبودية والألوهية، وليس إلى إثبات أنه خالقهم ورازقهم ونحوه فقط، إذ إن المشركين مُقرُّون بأنه الخالق الرازق، وبعبارة أخرى إنهم مقرون بتوحيد الربوبية، ولكنهم كافرون بتوحيد الألوهية. ولذا **﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (116)**، أي لنفرده بالعبادة ونخصه بها من دون آلهتنا. فغرر بهم إبليس باستهوائه إياهم واستدراجه لهم، وإدخالهم في المهلكات شيئاً فشيئاً، كما فعل بالأمم السالفة كقوم نوح ومن بعدهم.. فالذين أبغضوا الرسل من الكفار وعادوهم ونابذوهم بالمحاربة من أول مرة، زين لهم ذلك وضرب لهم الأمثلة والمقاييس، وإنهم مثلهم بشر يأكلون ويشربون، وأنهم يريدون أن يصدوهم عمَّا كان يعبد آباؤهم، و ينتقصوا شيوخهم بذلك، وتكون لهم الكبرياء في الأرض، ولما لم يفلح في صدهم عمد إلى طريق آخر وهو دعوتهم إلى الغلو في أنبيائهم وصالحيهم، بالكذب والقول عليهم بالبهتان ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله ﷻ فيها، وأتاهم إبليس في صورة محبة الأنبياء والصالحين وموالاتهم حتى أضلهم من حيث لم يحتسبوا، ولم يسلم من ذلك إلا عباد الله المخلصين[117].

*** ثانياً ـ ومن أبواب الغلو: تعظيم القبور والمزارات**

هذه مشكلة عادت جذعة من جديد، مع أن النبيﷺ نهى عن زيارة القبور ثم أباحها لأنها تذكر بالآخرة ولكن بعض المسلمين غلوا وخرجوا عمَّا أجازه المصطفىﷺ حينما قال: (ألا كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة)[118] قال ذلك خوفاً عليهم من الغلو فيها، ولخطرها على عقيدتهم، لذلك فقد أنكر أشد النكير على من ابتدع في الدين ما ليس منه فقال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[119] ومع كل هذا فإن بعض الناس قد غلوا في أهل القبور الغلو المفرط الذي نهاهم الله ﷻ ورسولهﷺ عنه وزادوا عمَّا حذرهم منه الرسولﷺ، ورفعوا بناءها وشادوها بالجص والآجر (اللِبْن المحروق)، والأحجار المُنقشة المزخرفة، ولا سيما

(113) ابن عبد الوهاب: شرح كتاب التوحيد ج1،ص187.

(114) النيسابوري:أبو سعيد عبد الرحمن، الغنية في أصول الدين، بتحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب، لبنان،1406، ط1،ج1ص104. والخطابي: الغنية عن الكلام وأهله ج1،ص48.

(115) الأنعام 59
(116) الأعراف 70
(117) الحكمي: معارج القبول ج2،ص534. وأبو شامة: الباعث على إنكار البدع ج1،ص110.

(118) مسلم:صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب استئذان النبي في زيارة قبر أمه، رقم 977. ج2، ص672.
(119) البخاري: محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله، خلق أفعال العباد، بتحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف ، الرياض، 1978م، ص62.

بعد ظهور دولة العبيديين في مصر والمغرب العربي..فكل من فعل أمراً متوهماً أنه مشروع وهو ليس كذلك فهو غال في دينه[120]، قال ابن عباس في قول الله ﷻ **﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُوَاعاً ولا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾** [121] " قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبُوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسمُّوها بأسمائهم ففعلوا، ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك المبتدعون ونُسي العلم، فعبدت من دون الله، وصارت الأوثان التي كانت في قوم نوح **إلى العرب بعدهم**، أما (ود) فكانت لقبيلة كلب بدومة الجندل، وأما (سواع) فكانت لهذيل، وأما (يغوث) فكانت لقبيلة مراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما (يعوق) فكانت لهمدان، وأما (نسر) فكانت لحِمْيَر لآل ذي الكلاع، وكلها أصلها أسماء رجال صالحين في قوم نوح[122]. كما أن سبب الشرك بالنجوم هو الغلو فيها، واعتقاد النحوس والسعود ونحو ذلك فيها، وهذا هو الغالب على الفلاسفة والمنجمين، وهو الغالب على عبَّاد القبور، وهو أصل عبادة الأصنام، إذ إن الناس عظَّمُوا الأموات تعظيماً مبتدعاً، فصوروا صورهم وتبركوا بها، فآل الأمر إلى أنْ عُبدت هذه الصور من دون الله[123]، وهذا هو الذي زينه الشيطان إلى عُباد القبور وقال لهم كلما كنتم أشد تعظيماً لها وغلواً، كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد، ومن هذا الباب دخل على عُباد يغوث، ويعوق ونسر من المشركين، وحمى الله أهل التوحيد من هذا الشرك العظيم[124]. ثمّ إنَّ البدعة سبب للكفر، وهي أحبُ إلى إبليس من المعصية، لمعرفة إبليس لِما تؤول إليه البدعة، كون المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها، ولو حسن قصد الفاعل، ولأجل هذا نهى الشرع الحنيف عن الغلو لمعرفته بما يؤول إليه، ونهى عن العكوف على المقابر لمعرفته بما يؤول إليه ذلك[125].

وقد لعن النبيﷺعابدي القبور ومتخذي المساجد عليها وموقدي السرج عليها، وقد ثبت عن النبيﷺأنه قال عند موته ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[126]. يحذر ممَّا فعلوه، قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يُتخذ مسجداً[127]... وفعل هذا ﷺ صيانة لحمى التوحيد، وخشية من أن يلحق الذات الإلهية الكفر والشرك، فأبى الغلاة إلا معصية رسول الله ﷺ وعدم طاعته.

ثمَّ إن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون اللهﷻ، **للأمرين الآتيين:**

*- الأمر الأول: لأن الغلو فيها يؤول إلى عبادتها، ولأجل هذا حذر النبيﷺ من تعظيمها.

*- الأمر الثاني: لأنها إن عُظِّمت عُبدت فأصبحت وثناً وإن كانت قبور رجال صالحين[128].

وبالجملة فالغلو أصل الشرك، وقد أمرنا الله ﷻ بمحبة أوليائه، وإنزالهم منازلهم، وسلب خصائص الألوهية عنهم، وفي هذا غاية تعظيمهم وطاعتهم، ونهانا عن الغلو فيهم، فلا نرفعهم فوق منزلتهم، ولا نحطهم عنها، لما يعلمه ﷻ في ذلك من الفساد العظيم، وإن تعظيمهم ومحبتهم إنما هي باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع، والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم وسلوك طريقتهم، من دون عبادتهم وعبادة قبورهم والعكوف عليها، واتخاذها أعياداً ومجامع للزيارات وارتكاب الفواحش. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لعن رسول اللهﷺ زائرات القبور

---

(120) الحكمي: معارج القبول ج2،ص537

(121) نوح 23

(122) ابن عبد الوهاب: شرح كتاب التوحيد ج1،ص264 -266.

(123) أول من أدخل الأصنام إلى جزيرة العرب عمرو بن لحي رئيس قبيلة خزاعة، جاء بهبل من الشام وأدخله في جوف الكعبة ظنا منه بأن هذا حسنٌ، فأمر العرب بتقليده في بقية جزيرة العرب. ينظر : المباركفوري ، صفي الرحمن: الرحيق المختوم، دار ابن كثير، دمشق،2000م، ط5، ص37.

(124) ابن عبد الوهاب: شرح كتاب التوحيد ج1،ص269وص285.

(125) المصدر نفسه:ج1،ص271

(126) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ج14ص586.

(127) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية ج2،ص34

(128) ابن عبد الوهاب: شرح كتاب التوحيد ج1،ص293 -294.

والمتخذين عليها المساجد والسرج)[129][130]. وقد عمل ﷺ على سد الطرق الموصلة إلى الشرك، لكي يحمي عقيدة التوحيد غاية الحماية، وأكد أشدَّ التأكيد على ذلك، ولو كان في قبره الذي هو أشرف القبور، ودعا الله ألاَّ يجعل قبره وثناً يعبد[131]. لئلا تقع الأمة في الشرك الأعظم. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته ((القط لي حصى)) فلقطت له سبع حصيات هن حصى الحذف فجعل ينفضهن في كفه الشريف ويقول: ((أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين))[132]. وقوله: إياكم والغلو فيه نداء: عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقادات، والأعمال وغيرها، وعن ابن مسعود أن رسول اللهﷺ قال: ((هلك المتنطعون))[133] قالها ثلاثاً، والمتنطع المتعمق في الشيء المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم، وقيل هم المتعمقون المغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم مأخوذ من النطع، وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل متعمق قولاً وفعلاً، وقال آخرون: هم المغالون في عبادتهم بحيث تخرج عن قوانين الشريعة ويسترسل مع الشيطان في الوسوسة..وبالجملة فالتنطع التعمق في قول أو فعل، وكررﷺ هذه الكلمة ثلاث مرات زيادة في التحذير والتعليم، ولو اقتصر الناس على ما جاءهم من ربهم على يدي رسول الله ﷺ لسلموا وسعدوا قالﷺ: **﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (134)**[135]. وعن عائشة رضي الله عنها أنَّ ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج رسول اللهﷺعن عمله في السر فقال بعضهم: والله لا آكل اللحم، ((أو قال سأصوم الدهر))، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال الآخر: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبيﷺ فقال: ((ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))[136].

*** ثالثاً- المبالغة في المدح قد تؤدي إلى الغلو**

الأصل عند المسلمين التوقف عند حدود ما أنزل اللهﷻ وثبت في سنة المصطفىﷺ في كل شيء فإذا فعلوا ذلك فقد وحدُّوا الله بإيمانهم وطاعتهم وسؤالهم له وحده لا شريك له، فيحصل لهم من الثواب مالا يعلمه إلا الله، ويحصل للرسولﷺ من طاعتهم مثل ثوابهم، إن كانوا متبعين لأمره غير مبتدعين، وقد عُلم من ديننا بالضرورة أن تصديق الرسل وطاعتهم خير من الغلو فيهم بلا تصديق ولا طاعة. وهذا التوجيه يكون أوجب في التعامل مع من حولنا ولاسيما الأئمة ومن على شاكلتهم، بأن ننزلهم منازلهم الحقيقية وفق ما ثبت في السنة النبوية الشريفة خشية الوقوع في الغلو بقصد أو من دون قصد، إذ ثبت عن رسول اللهﷺ عن ابن عمر أنه قال: (أحثوا التراب في أفواه المادحين) وفي رواية: (**أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب**)[137] وفي حديث أنس ﷺ:

(129) الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب الجنائز، رقم 1384، بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،1990م، ج1، ص530.
(130) ابن عبد الوهاب: شرح كتاب التوحيد ج1،ص299 -300.
(131) المصدر نفسه: ج1،ص304
(132) النسائي: أبو عبدا لرحمن احمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي الكبرى، باب التلبية في السفر، رقم 4063، بتحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م،ج2، ص435.
(133) النيسابوري: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم، باب هلك المتنطعون، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، رقم 2670، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج4 ص 2055.
(134) العنكبوت 51
(135) ابن عبد الوهاب: شرح كتاب التوحيد ج1،ص275- 276.
(136) النيسابوري: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم،كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، حديث رقم2487، والحنفي :ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية ج1،ص586.
(137) ابن حبان: صحيح ابن حبان، رقم 5769، ج13ص82.

(أن ناساً قالوا يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا إلى.. الخ)[138]، فكره ﷺ أن يواجهوه بالمدح، فيفضي بهم إلى الغلو، وأخبرﷺ،أن مواجهة المادح للممدوح بمدحه ولو بما هو فيه هو من عمل الشيطان[139].

وفي الحديث (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)[140] وقد تكون محبة المدح سبباً لتولد ظاهرة الكبر بين الناس فيكون المدح سُلَّما إليها، ثمَّ إن المادح قد يفضي به المدح إلى أن ينزل الممدوح منزلة لا يستحقها، ووُجد هذا كثيراً في الشعر الذي نهى عنه الرسولﷺ وحذر أمته من أن يقعوا فيه،..والنبيﷺ لما أكمل الله له مقام العبودية، صار يكره أن يُمدح صيانة لهذا المقام، وأرشد إلى ترك المبالغة في المدح نصحا لهم وحماية لمقام التوحيد من أن يدخله ما يفسده من الشرك ووسائله وذرائعه[141]. فعن عبد الله بن عباس عن عمر قال رسول الله ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد الله ورسوله فقولوا عبد الله ورسوله))[142]. وقد ثبت أن رجلا قال للنبيﷺ يا خيرنا وابن خيرنا ويا سيدنا وابن سيدنا فقال رسول الله ((يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنـزلوني حيث أنـزلني الله أنا عبد الله ورسوله))[143].

*المطلب الرابع

تأثر المسلمين بغلو أهل الكتاب وانحرافهم

أمر الله ﷻ الناس بطاعة الرسل فيما أمَروا به ونَهَوا عنه، وتصديقهم فيما أخبروا عنه، ونهى الخلق عن الغلو والإشراك باللهﷻ، فبدلت النصارى دين الله فغلوا في المسيح فأشركوا به وبدلوا دينه فعصوه وعظموه فصاروا عصاة بمعصية نبيهم، مع أن الله ﷻ حذرهم من هذا بقوله: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ (144)**"[145]" أي لا تتعدوا ما حدد الله لكم، فنهاهم عن الغلو في الدين، ولكنهم بالغوا فيه وخرجوا عن أصلي الدين الأساسيين وهما:

أولاً: الإقرار للهﷻ بالوحدانية.

ثانياً: الإقرار لرسله بالرسالة. فأخرجهم الغلو عن التوحيد الخالص، فوقعوا في التثليث والاتحاد، وأخرجهم عن طاعة الرسولﷺ وتصديقه، إذ أمرهم أن يعبدوا الله ربه وربهم فكذبوه، وعصوه فيما أمرهم به[146].

ومن مظاهر الغلو عند أهل الكتاب ما قصه ﷻ في سورة التوبة **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُواْ**

(138) النسائي: أبو عبدا لرحمن احمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، بتحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل سيدنا وسيدي، رقمه 10078، ج6،ص71.
(139) ابن عبد الوهاب: شرح كتاب التوحيد، ج1،ص663-664.

(140) النيسابوري: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم(الجزء الخاص بالعقيدة)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.، ج1ص93.
(141) ابن عبد الوهاب: شرح كتاب التوحيد ج1،ص664. والحنفي :ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية ج1،ص98وص525.
(142) البستي: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي، صحيح ابن حبان، ج14ص133.
(143) أبو القاسم:هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، اعتقاد أهل السنة، بتحقيق:د.أحمد سعد حمدان،دار طيبة،الرياض1402هـ ج8،ص1394-1396.
(144) النساء 171
(145) محمد بن عبد الوهاب:مسائل الجاهلية، بتحقيق:محمد شكري الآلوسي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1396هـ، ج1،ص71.
(146) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية ج1،ص473 -474.

أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [147]، فاتخاذ أحبار الناس أرباباً يحللون ويحرمون ويتصرفون في الكون وينادون في دفع ضر أو جلب نفع، هو من جاهلية أهل الكتاب، ثم سرى إلى غيرهم من مشركي العرب، ولهم اليوم بقايا في مشارق الأرض ومغاربها، تصديقاً لقول النبي ﷺ ((لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى إذا دخلوا جحر ضب دخلتموه معهم قالوا: اليهود والنصارى يا رسول الله، قال: فمن ..))[148]. حتى نرى بعض الناس اليوم معرضين عن الله وعن دينه الذي ارتضاه موغلين في البدع، تائهين في أودية الضلال، معادين للكتاب والسنة ومن قام بهما، وكأنَّ الدين أصبح عدواً لهم[149]. والغلو كثير عند النصارى، فإنهم غلوا في عيسىﷺ فنقلوه من حيز النبوة إلى حيز الألوهية، إلى أن اتخذوه إلها يعبد من دون الله، بل غلوا فيمن زعم أنه على دين المسيح أو من هو من أتباعه، كالباباوات والقسس والرهبان، فادعوا فيهم العصمة، فاتبعوهم في كل ما قالوه، سواء أكان حقا أم باطلا. دخل عدي بن حاتم الطائي على رسول الله ﷺ وفي عنقه صليب وقال: يا رسول الله إننا لم نعبدهم، فقال له الرسول ﷺ: (ألم يُحلوا لكم الحرام ويُحرموا عليكم الحلال، فصدقتموهم، قال بلى، قال فتلك عبادتكم إياهم)[150]. إذ جعل التقليد سبب من أسباب نشأة الغلو. وأما كون موسى وعيسى وجيهين عند الله كما قال ﷻ **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾** [151]، وقال عن عيسى: **﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾** [152]، فذلك لا يوجب الغلو فيهما، ولا في غيرهما من الرسل والأنبياء والصالحين، ولا يبيح أن تُبتدع لهم عبادةً ودعاءً لم يأذن به الله، ولا أن ينقص من حقوقهم ومنازلهم التي أنزلهم بها، والله ﷻ لم يأذن لنا أن نسأل ميتاً حاجة وإن كان نبياً أو غيره، ولا يلجأ إليه في جلب منفعة أو دفع مضرة، ولا نقصد زيارة قبره لإجابة دعائنا، فالذي شرع لنا في حق الرسل، ينبغي أن يكون فيه تحقيق توحيد الله وحده، وتحقيق طاعتهم فيه، وفي هذا مزيد الرحمة ورفعة الدرجة والرضوان لنا ولهم، والصلاة والسلام عليهم من ضروريات الدين في حقهم[153].

وقد تقدم أن بولص الرسول ابتدع ما ابتدعه من الغلو في المسيح فاتبعه على ذلك طوائف من النصرانية، أحبوا الغلو في المسيح، فقام أهل الحق وخالفوهم وأنكروا عليهم، فلم يفلحوا في ثنيهم عن الغلو فانـزووا واعتزلوا في الصوامع والأديرة خوفاً على حياتهم. وإذا بُيِّن لهؤلاء الغلاة قدر المسيح فقيل لهم: **﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾** [154]. أنكروا هذا وقالوا إن هذا تـنقص بالمسيح، وسب له واستخفاف بدرجته وسوء أدب معه، والحقيقة خلاف قولهم إذ إن في ذلك من الحمد له والثناء عليه والإيمان به ما ليس في الغلو فيه، لأن فيه تقرير كمال عبوديته التي فيها كمال المخلوق، فأما الغلو فيه إلى حد الربوبية فذاك خيال باطل لا كمال حاصل، وفي إثبات العبودية له إيمان به وموافقة لخبره وأمره، فيحصل له بذلك من الخير والرحمة ما لا يحصل له بالغلو فيه، الذي هو كذب فيه ومكذوب عليه ومعصية له، وإشراك باللهﷻ، وليس في الغلو ما ينفعه أو يرفعه، بل فيه ضرر على الغلاة أنفسهم[155]. لقول الله ﷻ **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾** [156]، فنهاهم عن الغلو في دينهم وعن اتباع أهواء الذين ابتدعوا بدعاً

(147) التوبة 30-32
(148) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج15ص95.
(149) محمد بن عبد الوهاب:مسائل الجاهلية، ج1،ص25 -26.
(150) الحكمي: حافظ بن أحمد، معارج القبول، ج2ص550.
(151) الأحزاب 69
(152) ال عمران 45
(153) ابن تيمية: تلخيص كتاب الاستغاثة، ج1،ص229
(154) المادة 75
(155) ابن تيمية: تلخيص كتاب الاستغاثة ج1،ص225 -228.
(156) المائدة 77.

غيروا بها شرع المسيح، فضلوا وأضلوا كثيراً من الناس عن سواء السبيل[157]. إنهم غلوا في عيسى ﷺ فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله بل غلوا فيمن زعم أنه على دينه من أتباعه فادعوا فيهم العصمة فاتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً وناقضتهم اليهود في أمر عيسى ﷺ فغلوا فيه فحطوا من منزلته حتى جعلوه ولد بغي وأمه زانية، حاشاهم الله. مع أن الله ﷻ نهى النصارى عن الغلو في دينهم وأن يقولوا على الله غير الحق وبين أن المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأمرهم أن يؤمنوا بالله ورسله، ونهاهم أن يقولوا ثالث ثلاثة، وقال: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً ﴾[158]**. وهذا تكذيب لقولهم في المسيح ﷺ، أنه إله حق من إله حق، أي: من جوهر الله[159]. وقد اقتفت بعض الفرق الضالة من المسلمين أهل الكتاب في هذا الضلال المبين.

الخاتمة وبعض النتائج والتوصيات

الغلاة كثيرون ومذاهبهم متعددة يُعسر إحصاؤها وهي في كل ملة وطائفة ولم تخل منها أمة من الأمم ولا مذهب أو دين، ثمَّ إن أغراضهم متعددة أيضاً ولكن يجمعها شيء واحد هو حظ النفس والهوى، وحب الاستئثار بالسلطان والحكم، وامتحنوا الناس لمَّا مال إليهم بعض ولاة الأمور، فصاروا يعاقبون من خالفهم إما بالقتل، وإما بالحبس، وإما بالعزل والتهديد بمنع الرزق، وهذا مظهر قبيح من مظاهر الغلو، طال الخاصَّة والعامَّة بسبب عقائدهم وأفكارهم، هذا دينهم وديدنهم وهدفهم منذ مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وانتهاءً بما يحدث اليوم على أرض الرافدين وفي لبنان واليمن وغيرها.

***- وللقضاء على هذه الظاهرة ينبغي الأخذ ببعض التوصيات والنتائج لتي توصلت إليها وهي كالآتي:**

1- التحذير من خطر أهل الكتاب وغلوهم إذ قال (ﷺ) لتتبعن سن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا يا رسول الله، اليهود والنصارى قال: فمن[160]
2- التمسك بالكتاب العزيز والسنة الشريفة في مواجهة موجات الغلو أيًّا كان مصدرها ومهما عظم خطرها.
3- التركيز على دور المؤسسات التربوية العامة والخاصة في محاربة الغلو، ولاسيما الدراسات الأولية والجامعية.
4- التركيز على وسائل الإعلام المختلفة وأسلمتها لتنقية أفكار وعقائد الناس من خطورة أفكار الغلاة.
5- العمل على تبني حملة دولية لمناهضة ظاهرة الغلو ومحو آثارها من بعض البلدان الإسلامية وتجفيف منابعها والقضاء على أسبابها المباشرة كتقديس القبور والمشاهد والمقامات وغيرها مما يتعلق به بعض البسطاء والجهلة، مع يقيننا بأن هناك من يدعم هذه الظاهرة ويعمل على تأجيجها بكل الوسائل والسبل الممكنة، مع مافي هذا الشرط من صعوبة ولكن هذا لايعفينا من مواجهة هذه العقبة والقضاء عليها مهما كانت صعبة وكؤود.
6- التركيز على دور الأفراد والعلماء والمفكرين العاملين على الساحة الإسلامية في مناهضة هذه الظاهرة.

نسأل الله ﷻأن يكفَّ عنَّا شرور الغلاة ومن وراءهم بما شاء وكيف شاء إنه على مايشاء قدير وبالإجابة جدير، كما أننا ندعوا الله لهم بالهداية والعودة إلى ما أُمِرنا باتباعه ألا وهو كتاب الله وسنة نبيهﷺ القائل: ((إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبداً، كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض))[161]، وفي حديث آخر، قال ﷺ: (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)[162]. وهؤلاء قد بدلوا وغيروا

(157) ابن تيمية: الجواب الصحيح ج2،ص377

(158) النساء 171
(159) المصدر نفسه: ج4،ص64 -65.

(160) تقدم تخريجه(ص22).
(161) الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب العلم، رقم 319، بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،1990م، ج1ص 172.
(162) الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب العلم، رقم 331،

وباتوا يشكلون خطراً على البلاد والعباد، بعد أن ابتعدوا عن الكتاب والسنة، ورضوا بأن يكونوا أدوات طيعة في أيدي جهات أجنبية وطائفية، تريد تنفيذ أهداف ذميمة وأغراض خبيثة في بلادنا الإسلامية المختلفة ، وثبت عنه ﷺ قوله: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[163]، أي: مرفوض ومردود. فوجب التصدي لهؤلاء القوم بالحجة والمنطق، وردهم إلى الجادة الحقَّة، بالعلم والفهم، وإقامة الحجة عليهم، وحمايتهم من الغلو والانحراف، والعودة بهم إلى الوسطية والاعتدال، الذي تميز به ديننا الحنيف وعقيدتنا السمحاء، قال ﷻ: **﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً..﴾**[164]، والبحث في هذا الموضوع طويل وعميق ولا يمكن تغطيته في صفحات قليلة، فلابد من دراسات أخرى تعزز هذه الخطوة وتدعمها كي نصل إلى نتيجة مرضية بإذن الله ﷻ في مواجهة ظاهرة الغلو والتطرف ومكافحتها.

المصادر

(1) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت،1391هـ.
(2) ابن تيمية، زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، ط1، الإدارة العامَّة للطباعة والترجمة، الرياض، 1410هـ.
(3) ابن تيمية، العقيدة الأصفهانية، بتحقيق:إبراهيم سعيداي،مكتبة الرشد، الرياض، 1415هـ.
(4) ابن حبان/ أبو حاتم التميمي البستي محمد بن حبان بن احمد، صحيح ابن حبان، ط2، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.
(5) أبو عمر عثمان بن سعيد المقرئ الداني، السنن الواردة في الفتن، بتحقيق: د/ضياء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط1، الرياض،1416هـ.
(6) أبو عبدا لرحمن احمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي الكبرى،، بتحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.
(7) أبو الحسن علي بن محمد الشافعي الماوردي،أعلام النبوة، ط1،بتحقيق:محمد المعتصم بالله البغدادي،دار الكتب العربي ، بيروت لبنان،1407هـ1987م.
(8) أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، ط2، بتحقيق: عثمان بن عبد الله آدم الأثيوبي، دار الراية، السعودية،1418هـ.
(9) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر ، معجم البلدان (الأربعين البلدانية)، ط1، بتحقيق: مركز جمعة الماجد، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت- دمشق، 1413هـ.
(10) ابو الحسن محمد بن احمد بن عبدالرحمن الشافعي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع،، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية، مصر، 1418هـ.
(11) أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، المنتقى من منهاج الاعتدال، بتحقيق: محب الدين الخطيب.
(12) أبو عبدا لله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط3، بتحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت،1987م.
(13) أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت،1977م.
(14) أبو عبدا لله محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989م.
(15) أبو الفضل العسقلاني الشافعي احمد بن علي ابن حجر، (فتح الباري في شرح صحيح البخاري)، بتحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

ج1،ص 175.
(163) سبق تخريجه، ص17 .
(164) البقرة 143

(16) أبو الفضل العسقلاني الشافعي احمد بن علي ابن حجر، (فتح الباري في شرح صحيح البخاري)، بتحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
(17) أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري، الغنية في أصول الدين، ط1، بتحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب،لبنان،1406.
(18) أبو عبدا لرحمن احمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي الكبرى، بتحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.
(19) أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الحاكم، المستدرك على الصحيحين، بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،1990م.
(20) أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، بتحقيق: عبد الرحمن بن عبدالله التركي وكامل الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.
(21) أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ط2، بتحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة، 1409هـ1989م.
(22) أحمد عبد الحليم أبو العباس ابن تيمية، توحيد الألوهية، ط2، بتحقيق: عبد الرحمن بن محمد قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية.
(23) أحمد بن إبراهيم ابن عيسى ، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم، ط3، بتحقيق: زهير شاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، 1406هـ.
(24) أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، السنة، بتحقيق: د.عطية الزهراني،دار الراية، الرياض،1410هـ.
(25) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، بتحقيق:علي سيد صبح المدني، مطبعة المدني، مصر.
(26) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، النبوات، المطبعة السلفية، القاهرة، 1386هـ.
(27) احمد ابن حنبل، مسند الأمام احمد، مؤسسة قرطبة، مصر.
(28) الحسن بن موسى النوبختي، فرق الشيعة، دار الأضواء، بيروت، 1404هـ.
(29) حافظ بن أحمد الحكمي، معارج القبول،ط1،بتحقيق:عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام،1410هـ1990م.
(30) سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب، شرح كتاب التوحيد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
(31) سليمان بن عبدالله بن محمد ابن عبد الوهاب ، شرح كتاب التوحيد، مكتبة الرياض الحديثة،الرياض.
(32) صديق بن حسن القنوجي، أبجد لعلوم، بتحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.
(33) صفي الرحمن المبارك فوري، الرحيق المختوم، ط5، دار ابن كثير، دمشق،2000م.
(34) طاهر بن محمد أبو المظفر الاسفراييني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية، بتحقيق كمال يوسف الحوت، نشر عالم الكتب، لبنان، 1403هـ.
(35) عبد الرحمن إسماعيل أبو شامة، الباعث على إنكار البدع والحوادث، ط1، بتحقيق: عثمان أحمد عنبر، دار الهدى، القاهرة، 1978م.
(36) عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي، تلبيس إبليس،بتحقيق/السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، 1405،1- 1985م.
(37) عبدالباقي المواهبي الحنبلي، العين والأثر في عقائد أهل الأثر، ط1، تحقيق: عصام رواس قلعجي، دارالمأمون للتراث، لبنان، 1407هـ.
(38) علي بن أحمد بن سعيد الظاهري أبو محمد ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة.
(39) علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد، دار الريان، القاهرة وبيروت،1407م.

(40) علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، مقالات الإسلاميين، ط3، بتحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث، بيروت.
(41) مالك بن انس بن مالك، موطأ مالك، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
(42) مرعي بن يوسف الحنبلي، رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، ط1، تحقيق: اسعد محمد المغربي، دار حراء، مكة المكرمة، 1410هـ.
(43) مسلم، صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(44) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم،، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(45) محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، سنن الترمذي، بتحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت.
(46) محمد بن اسحق أبو الفرج ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1398هـ1978م.
(47) محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، فضائح الباطنية، بتحقيق/ عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب، الكويت.
(48) محمد بن عبد الوهاب، مسائل الجاهلية، بتحقيق:محمد شكري الآلوسي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1396هـ.
(49) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح ، بتحقيق/ محمود خاطر،نشر مكتبة لبنان، لبنان،ت1415-1995.
(50) محمد بن عبد الوهاب، مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في العقيدة، تحقيق: عبدالعزيز زيد الرومي، د محمد بلتاجي، د. سيد حجاب، نشر جامعة الأمام محمد، الرياض.
(51) محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، خلق أفعال العباد، بتحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف، الرياض، 1978م.
(52) محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، بتحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب لعلمية، بيروت، 1402هـ.
(53) محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل،بتحقيق/محمد سيد كيلاني،دار المعرفة ،بيروت.
(54) محمد بن نصر المرتضى اليماني، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات، ط2، دار الكتب العلمية بيروت، 1987م.
(55) محمد بن عمر الزمخشري،الفائق، ط2، بتحقيق/علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،،دار المعرفة، لبنان.
(56) محمد بن مكرم الإفريقي المصري ابن منظور، لسان العرب،،ط1، دار صادر، بيروت.
(57) محمد عبد الرؤوف المناوي، التعاريف،بتحقيق:د/محمد رضوان الداية،دار الفكر المعاصر، بيروت،1400هـ.
(58) هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، اعتقاد أهل السنة، بتحقيق:د.أحمد سعد حمدان،دار طيبة،الرياض1402هـ.
(59) يوسف القرضاوي،ثقافة الداعية، مكتبة هبة،القاهرة،1996م.